الباب الثاني

في

تعاريف المصطلحات المتداولة الأساسية
[الجاهلية ، الدين ، الإسلام ، الشريعة ، الفقه]
شرحها ، وتقسيماتها ، وتنظيمات الجاهلية

الدارسون للشريعة الغرَّاء ، ترد على ألسنتهم الكثير من المصطلحات ، وقد يستعملها البعض استعمالاً خاطئاً ، أو يستغل عدم الوضوح أقوامٌ من غير المسلمين فيُلبِّسوا على المسلمين ما يلبِّسون .

ولما كانت المنهجية الإسلامية تُلزم بتحديد مفاهيم المصطلحات قبل الدخول في تفصيلاتها[1] .. فلأجل هذا وذاك ، نكون ملزمين ببيان المعاني اللغوية

[1] راجع : بحثنا [المرة والتكرار في أوامر النصوص الشرعية] – مستل من المجلد الثامن والعشرين من مجلة المجمع العلمي العراقي / 1977 – الصفحة 257 .

والاصطلاحية للألفاظ التي ترد في ثنايا البحوث التي نحن بصددها ، وكذلك المعاني المختلفة للمصطلح الواحد وبحسب استعمالاته المختلفة ، أو في الأزمان المتتالية .. وبحسب الترتيب الآتي :

أولاً / الجاهلية[2] .. من :

جَهِل فلانٌ على غيره .. جهلاً ، وجهالةً : جفا وتَسافَهَ ، وفي التنزيل العزيز : { وإذ قال موسى لقومه إنّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتَّخذنا هُزُوَا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين }[3] .

والجَهْل .. قد يأتي : عكس العلم .. وفي التنزيل العزيز : { يا أيُّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأِ فتَبَيَنوا أن تُصيبوا قوماً بجهالةٍ فتُصبحوا على ما فعلتم نادمين }[4] .

وجَهِل الحق : أضاعه ، فهو جاهل ، وجمعها .جُهَّال ، وجهلاء ، وجُهَّل .

والجهول : اسمٌ من الجهل بمعنى المضيِّع .

والجاهلية – في الاصطلاح – : ما كان عليه العرب قبل الاسلام من الجهالة والسفاهة .. وفي التنزيل العزيز :

---

[2] راجع : المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية في القاهرة / ج 1 ، مادة [جهل] .

[3] البقرة / 67 .

[4] الحجرات / 6 .

{ يا نساء النبيِّ لستنَّ كأحدٍ من النساء إن اتَّقيتنَّ فلا تخضعنَ بالقول فيطمع الذي في قلبه مرضٌ وقلنَ قولاً معروفاً وقَرْنَ في بُيُوتِكُنَّ ولا تَبَرَّجنَ تبرج الجاهلية الأولى وأقِمن الصلاة وآتين الزكاة وأطِعن الله ورسولَه إنَّما يُريد اللهُ ليُذهب عنكم الرجسَ أهل البيت ويُطهركم تطهيرا }[5] .

ويقول الشاعر :

ألا لا يجهلَنْ أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فالجاهلية : هي الفترة السابقة للبعثة المحمديَّة ، وقد تكون في الفترة التي بين نبيين حين يبتعدون عن تعاليم النبيِّ السابق ، إلى أن يأتي النبيُّ اللاحق فيصحح لهم .

[وفي حديثٍ أخرجه : الشيخان ، وأبو داود ، والترمذي ، أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبي ذر وكان قد عيَّر رجلاً أُمِّه أعجمية ، فشكاه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .. : { يا أبا ذر إنَّك امرؤٌ فيك جاهلية }[6] ، وفسَّرها ابن الأثير بالحالة التي عليها العرب قبل الإسلام ، من .. الجهل بالله تعالى ، ورسوله عليه

---

[5] الأحزاب / 33 ، ويظهر أنَّ [أهل البيت] هم نساء النبيِّ كما يدل عليه سياق النص ، ولهذا مؤيدات من القرآن الكريم ، راجع : هود / 73 ، والقصص / 12 ، وآل عمران / 121 ، يوسف / 25 .

[6] البخاري – الإيمان / 29 ، ومسلم – الإيمان / 3139 و 3140 ، وأبو داود – الأدب / 4490 ، وأحمد – مسند الأنصار / 20461 .

السلام ، وشرائع الدين ، والمفاخرة بالأنساب ، والكِبر ، والتجبر ، وغير ذلك .. والله تعالى أعلم][7].

والجهل في اصطلاح علماء الكلام : اعتقاد الشئ على خلاف ما هو عليه .

والجهل البسيط – كما قرره علماء المنطق – : عدم العلم بما من شأنه أن يُعلم .

والجهل المـركب – عنـــــدهم – : اعتقادٌ جازم غير مطابق للواقع .

ففي البسيط يعرف الجاهل أنَّه لا يعلم ، وفي المركب لا يعرف ذلك فيجزم بما يعتقده مع مخالفته للواقع !! .

فأهل الجاهلية .. كانوا في جهلٍ مركب ، لأنهم أصروا على اعتقاد ما هم عليه ، رغم مخالفته للفطرة ومقتضى العقل السليم ، فسفهوا وتسافهوا إذ تجاوزوا المعقول في : العبادة ، والأفعال ، وترك الحِلْم .. وهو مقتضى العقل .. وفي التنزيل العزيز : { أم تأْمُرُهُم أحلامُهُم بهذا أم هم قومٌ طاغون }[8] .. أي : عقولهم ، وهم في جهالة إذ يغضبون لأسبابٍ تافهةٍ ويُريقون لأجل ذلك الدماء !! .

فأضحت الجاهلية مصطلحاً .. وطابق الإسم المسمى ، وناهيك بتسمية الله تسميةً ! .

---

[7] راجع : روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني لأبي الثناء محمود شهاب الدين الآلوسي – 21 / 8 وما بعدها .

[8] الطور / 32 .

ووردت لفظ الجاهلية في القرآن الكريم [4] أربع مرات فقط ، مرَّت واحدة ، وهناك ثلاث غيرها[9] .

ولا يغرَّنك قول من أراد إنكار التسمية بإشارته لما كان عليه العرب في الجاهلية ، من بعض جوانب التقدم الحضاري المادي المدني في أطراف الجزيرة ، مثل : اليمن ، والحيرة ، وبُصرى ، والبتراء .. الخ فهذا سيكون جاهلياً أيضاً ، لاستناده إلى فكر حضاري جاهلي فالمراد بالمصطلح جهلٌ مخصوص ، وهو الجهل بربهم ، وما تقتضيه العقول السليمة من الاعتقاد ، وترك الصفات المرذولة .

أ رأيت ما عليه أوربا وأمريكا من التقدم العلمي اليوم ؟! .

وأ رأيت ما كانت عليه : الفراعنة ، والهند ، والصين ، ووادي الرافدين .؟! .

ومع ذلك فالكلُّ في .. جاهليةٍ جهلاء ، وضلالةٍ عمياء ، فاحذر ما يُلقيه الجاهلون الذين جانبوا [العلمية] التي يدَّعونها ، حينما لم يوَّضحوا المصطلحات !! ، ولم يُحرروا المقام ، كما يقول العلماء المسلمون !! .. فأَيُّنا أقرب إلى العلمية ، والدقة البحثية .

نعم .. إذا كانت الجوانب المادِّية لا تعلق لها بفكرٍ اعتقادي ، كان تقدَّماً مادِّياً بحتاً ومفيداً ، وقد لا يسري وصف

---

[9] هي في آل عمران / 154 ، والمائدة / 50 ، والفتح / 26 .

الجاهلية إليها ، بل تكون حسنةً بذاتها .. كسدِّ مأرب ، وصهاريج عدن .. الخ .

فالحضارة .. هي : التفكير الإنساني .. والجوانب المادية ، وهذه غالباً ما تستند إلى نظرة كليَّة عن .. الكون ، والإنسان ، والحياة ، وعلاقة ما قبل وبعد الحياة بها ، وهي التي تسمَّى [العقيدة] ، فهي الجانب الفكري من التقدم الإنساني المسمى [بالحضارة] .

فإذا كانت للحضارة جوانب مادِّية .. فهي [المدنية] ، والتي تستند إلى الجانب الحضاري الفكري .

وسمِّيت [المدنية] .. مدنيَّةً ، لأنها تتحول إلى الإستيطان والسكن ، وتأسيس المدن بما فيها من مرافق ضرورية لمعيشة أهلها .

فالمدنية التي تستند إلى فكر حضاري جاهلي ، تكون مدنية جاهلية ! .

والجاهلية .. جاهليتان :

الأولى / وكانوا أشدُّ إيغالاً في ارتكاب ما لا يُرضى من أمر النساء ، من : مخالطتهنَّ ، وجلوسهنَّ مجالس الرجال ، بل وتولي المُلك[10] !! .

والأخيرة / التي كثر فيها احتقار النساء ، بل ووأدهنَّ ، وامتُهنَّ باتِّخاذهنَّ بغيَّات – على ما سيأتيك – ، وجعلهنَّ وسائل لهوٍ لا غير ! .

---

[10] روح المعاني – 21 / 8 وما بعدها ..

وكلا الحالين أنكرهما الإسلام كما سيتبين لك لاحقاً إن شاء الله تعالى .

ما كانت عليه العرب في الجاهلية .. من : أديان ، وعادات ، وتنظيمات [11]

لقد كانت للعرب في الجاهلية : أديان ، وأعراف ، وتنظيمات .. قد ألغى الإسلام بعضها لسوئه ، وعدَّل بعضها لما داخله من التحريف ، وأبقى بعضها لأنه لا يُصادم أحكام الإسلام ... ونتكلم عنها تباعاً :

الموضوع الأول / أديان العرب في الجاهلية –

كانت العرب تدين بأديانٍ عديدة .. هي :

أولاً / اليهوديـة – ومنهم : السموأل بن عادياء الشاعر المشهور ، وهم قلَّة قليلة من عرب اليمن من حمير التي هوَّدها [ذو نؤاس] ، وقيل كان انتقالهم أيام تبَّع [12].

---

[11] راجع في هذا المبحث إلى آخره : بلوغ الأرب للآلوسي الجزءان الثاني والثالث ، المعارف لإبن قتيبة الدَيْنوري ، مقدِّمة ابن خلدون ، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ، وجمهرة أنساب العرب لإبن حزم الأندلسي ، ملوك اليمن وأقيال حمير لنشوان الحميري ، قصص الأنبياء لإبن كثير ، تحقيق ما للهند من مقولة مرذولة في الذهن أو مقبولة للبيروني ،

[12] بلوغ الأرب لمحمود شكري الآلوسي – 2 / 201 إلى 202 .

وكانت اليهودية أيضاً في : بني كنانة ، وكندة ، وبني الحرث بن كعب ، ولعلها سرت إليهم من مجاوريهم يهود خيبر ويثرب .

ثانياً / النصرانية – ومنهم : غساسنة الشام ، وبعض قبيلة طئٍّ ، وبنو تغلب ، وبعض قضاعة ، وبعض عرب نجران .. وهم بقايا الموحدين الذين على دين إبراهيم ، الـذين بعدمـا طـال عليهم الأمد : [افترقوا .. فمنهم : من بقي على أصل التوحيد وما استفاض نت إفراد الله تعالى في عبادته ، التي تضافرت عـلى الإرسال به جميع الرسل ، ومنهم : من اتَّبع من بقيت شريعته ، ولم تُنسخ ملَّته كعيسى ابن مريم عليه السلام ، وهذا الصنف نزرٌ يسير لم يكونوا إلاَّ عـدداً معدوداً في كلِّ عصر إلى زمن البعثة المحمدية][13].

وقصة وفادة نصارى نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة معروف ، وبعد مجادلتهم للرسول عليه السلام وإصرارهم على ما هم عليه ، نزلت آية المباهلة .. يقول تعالى : { فمن حاجَّك فيه من بعد ما جآءك من العلم فقل تعالوا ندعُ أبناءَنا وأبناءكم ونساءَنا ونساءَكم وأنفسنا وأنفسَكم ثم نبتهل فنجعلْ لَّعنةَ الله على الكاذبين }[14] .

---

[13] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب امحمود شكري الالوسي البغدادي – 2 / 196 .

[14] آل عمران / 61 .

ولم يُباهل هؤلاء لتيقنهم بنبوة محمد عليه السلام ، وخوف نزول العذاب بهم ، فصالحوا رسول الله على أموالٍ ونقود يدفعونها ، وكتب لهم عهداً ، وأقرَّ أساقفتهم وكهنتم ورهبانهم على ما بأيديهم من السلطة الدينية ، وولى عليهم والياً من قبله ، وأعفى : كهنتهم من أن يُعشَّروا أو يُحشروا في عمل .

ثالثاً / المجوسيَّة – ومنهم : بعض عرب اليمن وحضرموت ، وبـعض عرب بلاد نجد وهجر منهم بنو تميم .. وهم الذين يعبدون النار ، ويتزوجون بناتهم ! ، وقد تزوج بناتهم أقوامٌ من العرب !! .

رابعاً / الوثنيــة – ومنهم : غالبية قريش ، وثقيف في الطائف ، والأوس والخزرج في يثرب ، بل هم غالب العرب في : اليمن ، وبلاد الشام ، وأطـراف الجزيرة .. [وهم أفرادٌ أقرُّوا بالخالق ، وابتداء الخلق ، ونوع من الإعادة ، وأنكروا الرسل ، وعبدوا الأصنام ، وحجوا إليها ، ونحروا لها الهدايا ، وقرَّبوا القرابين ، وتقربوا إليها بالمناسك والمشاعر ، وأحلُّوا وحرَّموا .

وهـم دهماء العرب ، وإقرارهم بالخالق هو الذي يُسمى توحيد الربوبية ، وهو الذي أقرَّت به به الكفار جميعهم ، ولم يُخالف أحدٌ منهم

في هذا الأصل .. إلَّا الثنوية ، وبعض المجوس ، وأما غيرهما من سائر فرق الكفر والشرك فقد اتفقوا على أن

: خالق العالم ، ورازقهم ، ومدبر أمرهم ، ونافعهم ، وضارُّهم ، ومجيرهم .. واحد ، لا ربَّ ، ولا خالق ، ولا رازق ، ولا مدبِّر ، ولا نافع ، ولا نافع ، ولا ضار ، ولا مجير .. غيره ، كما قال سبحانه وتعالى : { ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولُنَّ الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون }[15] ، { قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون لله قل أ فلا تَذَكَّرون }[16] ، { قل من يَرْزُقُكُم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يُخرج الحيَّ من الميِّت ويُخرج الميِّت من الحيِّ ومن يُدبِّر الأُمر فسيقولون الله فقل أ فلا تتَّقون }[17] .

وكانوا يعتقدون بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب إليه .. لكن بطرقٍ مختلفة ..

فرقةٌ قالت : ليس لنا أهلية لعبادة الله بلا واسطة .. لعظمته ، فعبدناها لتقربنا إليه تعالى ، كما قال حكايةً عنهم : { ألا لله الدِّين الخالص والذِّن اتَّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلَّا ليقربونا إلى الله زلفى ... }[18].

---

[15] لقمان / 10 ، وفي الزمر / 38 : { ولئن سألتهم مَنْ خلق السماواتِ والأرض ليَقُولنَّ الله قل أ فرأيتم ما تدعون من دون الله .. } ، وفي العنكبوت / 61 : { ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولنَّ الله فأنَّى يُؤفكون } .

[16] المؤمنون / 84 .

[17] يونس / 31 .

[18] الزمر / 3 .

وفرقة قالت : الملائكة ذوو جاهٍ ومنزلةٍ عند الله ، فاتَّخذنا أصناماً على هيأة الملائكة ليقربونا إلى الله .

وفرقةٌ قالت : جعلنا الأصنام قبلةً لنا في عبادة الله تعالى ، كما أنَّ الكعبة قبلةً في عبادته .

وفرقة اعتقدت : أنَّ على كلِّ صنمٍ شيطاناً موكلاً بأمر الله ، فمن عبد الصنم حقَّ عبادته قضى الشيطان جوائجه بأمر الله ، وإلَّا أصابه الشيطان بنكبةٍ بأمر الله ، وهذا الصنف هم الذين أخبر عنهم التنزيل في قوله سبحانه { وقالوا ما لِهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أُنزل إليه ملكٌ فيكون معه نذيرا أو يُلقى إليه كنزٌ أو تكون له جنَّةٌ يأكل منها وقال الظالمون إن تتَّبعون إلَّا رجلاً مسحورا }[19] ، فردَّ عليهم سبحانه بقوله { وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلَّا إنَّهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وجعلنا بعضكم لبعضٍ فتنةً أ تَصْبِرون وكان ربُّك بصيراً }[20] .. وشبهات العرب كانت مقصورة على إنكار البعث ، وجحد الرسل ..][21] .

وفي سبب اتِّخاذهم الأصنام بعد عهد إبراهيم عليه السلام ، عليك ببلوغ الأرب للآلوسي[22] .

---

[19] الفرقان / 7 .

[20] الفرقان / 20 .

[21] المرجع السابق – 2 / 197 إلى 198 .

[22] " " – 2 / 200 وما بعدها ، و212 وما بعدها ، و216 وما بعدها .

خامساً / الدهريـة – وهؤلاء يعبدون الدهر ، ويقولون هو : يحيينا ويميتنا ويهلكنا ، يقول تعالى : { وقالوا ما هيَ إلَّا حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا وما يُهلِكُنا إلَّا الدهر وما لهُم بذلك من علمٍ إنْ هم إلَّا يَظنون }[23].

وهم فرقتان :

- اولاهما : قالت .. [إن الخالق سبحانه خلق الأفلاك متحركةً أعظم حركة ، فدارت عليه فأحرقته ، ولم يقدر على ضبطها وإمساك حركتها] .
- ثانيهما : قالت .. [إن الأشياء ليس لها أول البتة ، وإنَّما تخرج من القوَّة إلى الفعل ، فإذا خرج ما كان بالقوة إلى تكونت الأشياء .. مركباتها وبسائطها من ذاتها لا من شئٍ آخر .

وقالوا : إن العالم لم يزل ولا يزال ، ولا يتغير ، ولا يضمحل ،

ولا يـجوز أن يـكون المبدع يفعل فعلاً يبطل ويضمحل ، إلَّا وهو

يبطل ويضمحل مع فعله ، وهذا العالم هو المُمسك لهذه الأجزاء التي

فيه][24] .

---

[23] الجاثية / 24 .

[24] المرجع السابق – 2 / 220 ، وللمزيد راجع : الملل والنحل للشهرستاني ، والفِصل في الملل والنحل لإبن حزم الأندلسي ، ومفتاح دار السعادة لإبن القيِّم .

وهذا الذي قيل ما زال يُـكرر على لسان من أســموا أنفســهم

[بالعلميين] ، ونسبوا إلى الطبيعة أموراً وأفعـالاً لا تُعقل قط .

سادساً / عبدة الكواكب – فمنهم : في صنعاء بنوا على اسم كوكب الزُهرة بيوتاً ثلاثة ، وبعض تميم عبدوا [الدَبِران] ، وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدوا [الشَعرى العَبور] وهي المعنية بقوله تعالى :

{ وأنَّه هو ربُّ الشُعرى }[25] .. وهناك كواكب أخرى لا حاجة للإسترسال بذكرها .

ومنهم : من عبد الشمس .. ومنهم عرب حمير قبل أن يتهودوا ، ومنهم قوم بلقيس صاحبة القصة المشهورة مع نبيِّ الله سليمان .

ومنهم : من اتَّخذ القمر صنماً [26].

فهؤلاء : [.. صنف يصبوا منهم إلى الصابئة ، وهم من يعتقد في الأنواء[27]، ويقول مُطرنا نوء كذا .

والصابئة : أمَّةٌ كبيرة .. اختلف الناس فيها اختلافاً كثيراً بحسب ما وصل إليهم من معرفة دينهم .

---

[25] النجم / 49 .

[26] المرجع السابق – 2 / 215 إلى 216 .

[27] النوء : النجم الذي مال إلى الغروب ، أو : هو سقوط النجم في مغربه مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته في المشرق .

وهم ينقسمون إلى : مؤمن ، وكافر .. قال تعالى : { إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين مَنْ آمن بالله واليومِ الآخِر وعَمِل صالحاً فلهُم أجرُهُم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون }[28] . فذكـرهم في الأمم الأربع الذين تنقسم كلُّ أُمَّةٍ منهم إلى .. ناجٍ ، وهالك ، وذكرهم أيضاً في الأمم الست التي انقسمت جملتهم إلى ناجٍ وهالك ، كما في قوله تعالى { إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا والصَّابئين والنصـارى والمجُوسَ والذيـن أشـركوا إن الله يفصِلُ بينَهُم يومَ القيـامة .. }[29]، فذكر الأمتين اللتين لا كتاب لهم ولا ينقسمون إلى : شقيٍّ ، وسعيد ، وهم .. المجوس المشركون في آية الفصل ولم يذكرهم في آية الوعد بالجنة ، وذكر الصابئين فيهما ، فعلم أن فيهم الشقيّ والسعيد .

وهؤلاء هم قوم إبراهيم الخليل عليه السلام ، وهم أهل دعوته وكانوا بحرَّان .. فهي دار الصابئة ، وكانوا قسمين : صابئة حنفاء ، وصابئة مشركون ، والمشركون يعظمون الكواكب ...][30] .

سابعاً / الزنادقة – وهم [الثنوية] القائلون بالنور والظلمة ، وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة .

---

[28] البقرة / 62 .

[29] الحج / 17 .

[30] المرجع السابق – 2 / 223 وما بعدها .

والزِنديق : – بالكسر – من يؤمن بإلهين ، أحدهما للنور ، والآخر للظلمـة ، أي : للخير والشر ، أو : من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية ، أو : من يُبطن الكفر ويُظهر الإيمان .

وقيل هـو : معرَّب ، وأصله فارسيٌّ مركب من .. [زن] وهي المرأة ، ودين ، فالمعنى : دين المرأة . والإسم .. الزندقة ، ذكره صاحب القاموس .

والأصح هو : – كما نقل ابن كمال باشا في بعض رسائله – منسوب إلى [زند] ، وهو كتاب أظهره [مُزدُك] رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنـوية ، أظهـره زمن كسرى بـن أنـو شروان ، وهـو غير [المانوية] أصحاب [ماني] الحكيم الذي ظهر في زمن [سابور] بعد بعثة سيِّدنا عيسى عليه السلام .

ومن الثنوية : المجوس .. وهم عبدة النار ، وقد انتحل ديانتهم بعض العرب[31] .

ثامناً / عبدة الجن ، وعبدة الملائكة[32] –

أما عبدة الجن .. فشرذمة قليلة من أهل البوادي ، ذكر القرآن ذلك عنهم بقوله تعالى : { وأنَّـه كان رجـالٌ مـن الإنس يعُوذُون برجالٍ من الجنِّ فزادُوهم رَهَقا }[33].

---

[31] المرجع السابق – 2 / 228 وما بعدها ، والمعارف لإبن قتيبة ، والقاموس المحيط للفيروز آبادي.

[32] المراجع السابقة .

[33] الجن / 6 .

أي :كِبْراً ، وعُتُواً ، أو غِيَّاً .. بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم ، فكان يقول القائل – إذا أمسى بأرضٍ قفرٍ : أعوذ بسيِّد هذا الوادي من شرِّ سفهاء قومه .

ويقول تعالى : { .. بل كانوا يعبُدُون الجنَّ أكثرُهُم بهم مؤمنون }[34] .

ويقول تعالى : { أ لم أعهد إليكم يا بني آدمَ أن لا تعبُدُوا الشيطانَ إنَّه لكم عدوٌّ مبين ﴿ وأن اعْبُدُوني هذا صراطٌ مستقيمٌ }[35] .

ويقول تعالى : { يحْشُرُهُم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيَّاكم كانوا يعبُدُون ﴿ قالوا سبحانك أنت وليُّنا من دونهم بل كانوا يعبُدُون الجنَّ أكثرُهُم بهم مؤمنون }[36] .

ويقول تعالى : { ويوم يحْشُرُهُم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيَّاكم كانوا يعبُدُون ﴿ قالوا سبحانك أنت وليُّنا من دونهم بل كانوا يعبُدُون الجنَّ أكثرُهُم بهم مؤمنون }[37] .

ويقول تعالى : { ويوم يحْشُرُهُم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إيَّاكم كانوا يعبُدُون ﴿ قالوا سبحانك أنت وليُّنا من دونهم بل كانوا يعبُدُون الجنَّ أكثرُهُم بهم مؤمنون }[38] .

---

[34] سبأ / 41 .

[35] يـس / 60 .

[36] الأنعام / 128 .

[37] الإسراء / 57 .

[38] سبأ / 40 إلى 41 .

وإسماعيل عليهما السلام ، ملتزمين ممَّا كانوا عليه من : تعظيم البيت ، والطواف به ، والحج والعمرة ، والوقوف على عرفة ..][40] .

وأجمل الآلوسي في البلوغ ما عليه العرب نمن دين .. بقوله : [إعلم أن العرب قبل ظهور الإسلام لم يكونوا مكلَّفين بشريعةٍ من الشرائع ..لا شريعة إبراهيم ولا غيرها من شرائع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، لقوله سبحانه : { لتُنذِر قوماً ما أُنْذِر آباؤهم فهم

---

[39] 39 الفرقان / 17 إلى 19.

[40] المرجع السابق – 2 / 195 .

غافلون }[41]، ويقول تعالى : { وما كنت بجانب الطُّور إذ نادينا ولكن رحمةً مـن ربِّك لتُنذِر قومـاً مـآ أتاهم من نَّذيرٍ من قبلك لعلَّهم يتَذَكرُون }[42].

وقد ذكر المفسرون في هذا المقام أنه لم يأتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم ، بل كانوا في فترةٍ ، وهي الزمن بين الرسولين ، والمراد بالقوم هنا العرب لوجودهم في فترة بين إسماعيل ومحمد عليها السلام ، وهي ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة ، **بناءً على أن دعوة موسى وعيسى عليهما السلام كانت مختصَّةً ببني إسرائيل ، لما في الصحيحين :** { أُعطيت خمساً لم يُعطهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي : نُصؤت بالرعب مسيرة شهرٍ ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطَهوراً .. فأيَّما رجلٍ من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ ، وأُحلَّت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبيُّ يُبعث إلى قومه وبُعثت إلى الناس عامة }[43] .

ولا يُنـافي كون اسماعيل عليه السلام مرسلاً إليهم .. القول بعدم تكليفهم ، فإن التكليف إنَّما يبقى إذا لم تندرس شريعة الرسول ، وههنا اندرست كما سبق .... فلما خلت أمة العرب في تلك المدَّة المديدة من النذير

---

[41] يس / 6 .

[42] القصص / 46 .

[43] البخاري – باب التيمم / الحديث رقم 323 ، ومسلم – المساجد / 810 ، وباختلافٍ يسير .

اختلت أفعالهم ، وتشوشت أحوالهم ، ومع ذلك بقيت فيهم بقايا من سـنن إبراهيم وشرائعه ، وكان لهم بعض عبادات وأعمال من ذلك العهد ، وإن عرض لبعضها تغيير بزيادة أو نقصان ، وقد أسلفنا شيئاً منها ..] .

الموضوع الثاني / عادات العرب في الجاهلية

وعاداتهم الموروثة كثيرة ، وهي من بقايا الفطرة ، وبقايا النبوة التي كانت لإسماعيل فيهم ، كما استحدثوا كثيراً مما لا يُرضى .. فعاداتهم نوعان .. نتكلم عنهما تباعاً :

النوع الأول / العادات الحسنة منها ، والتي أقرَّها الاسلام :

- حجهم إلى البيت واعتمارهم به ، وطوافهم به سبعاً ، وإحرامهم قبل دخول الحرم ، ويقفون المواقف كلَّها في : عرفة ، والمزدلفة ، ومنى .
- وكانوا يلتزمون بأيام التشريق ، ويقضونها في [منىً] .
- وكانوا يعرفون حرمة [الحرم] وحدوده ، ويعظمون أحكامه .
- وكانوا : يهدون الهدي للبيت ، ويرمون الجمار ، ويُقلِّدون القلائد عند السعي للحج ، ولا يتعرضون لأحدٍ في الحرم .

- وكانوا لا يغير بعضهم على بعضٍ في الأشهر الحُرُم . وقد ورثوا ذلك من بقية دين ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، الذي بقي بينهم من دون إهمالٍ أو تحريف .
- وتطهُّرهم طهارة الفطرة من : غسل للجنابة ، والمضمضة ، والاستنشاق ، وقص الشـارب والسواك ، وفرق الشعر ، والاستنجاء ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط ، وحلق العانة .
- وكانوا يكفنون الموتى ، ويصلِّون عليهم ، ويذكر وليُّه محاسنه بخُطبةٍ ، ثم يدفنونهم .
- وكانوا يصومون يوم عاشوراء .. ولعلَّهم تلقوه ممن قبلهم .
- وكان [كعب بن لؤي بن غالب] أحد أجداد النبي عليه السلام يخطب كلَّ يوم [عَرُوبة] .. الذي أسماه الإسلام الجُمُعة .
- وكانوا يقطعون يد السارق اليمنى ، وبعض ملوك الحيرة كانوا يصلبون بقطع الطريق .
- وكانوا يأخذون : بالديات ، والمعاقل ، والأرش ، وحكومة العدل
- وكانوا يأخذون بالقسامة .
- وكانوا يتعاملون : بالبيوع بأنواعها .. المقايضة ، والصرف ، والبيع والشراء بثمن .

- وكانوا يتعاملون : بالرهن ، والكفالة ، والوكالة ، والعارية ، والوديعة ، والإجارة ، والسَلَم ، والاستصناع ، والمزارعة ، والمساقاة ، والشِركة ، وقسمة المال الشائع ، والقضاء ، وآدابه ، ووضع السنن والعوائد التي يتحاكمون بمقتضاها .
- وكانوا لا يتقاتلون في الأشهر الحُرُم .
- وكانت لهم التنظيمات الباهرة في مجتمع مكة .. وسنأتي إلى ذكرها إن شاء الله تعالى .
- وكانت عندهم : الأحلاف ، والموالاة ، وإجارة المستجير .
- وكان فيهم : حفظ العهد ، والوفاء بالوعد ، ، والكـرم ، والنُصرة ، والشجاعة ، وحفظ الأنساب ، وحفظ الشرف ، والغَيرة ، والصبر ، والحِلم ، والتوسط في الأمور كلِّها ، ومطالبتهم بحقوقهم ، وحبهم للعدالة ، وميلهم للمشاورة ، وحبِّهم للحرية .
- وكانوا : يتهادون بينهم ، ويتصدقون ، ويصلون ذوي قرباهم ، ويُضيِّفون الضيف ولا يسألونه عن حاجته إلَّا بعد ثلاث ، ويعفون عن المسئ .
- وكـانت لهم علوم يعرفونها ، منها : علم الحساب ، وعلم المعايش ، وعلم تربية الخيول ومعرفة أمراضها وعيوبها الخِلقيَّة والحادثة ، وعلم تربية الإبل ، وعلوم .. القيافة .. والعيافة .. والـريافة .. والفراسة .. والاهتداء

في البراري ، وعلم آلات الحرب ، وعلوم .. الأنواء .. والسُحُب .. والرعد .. والبرق .. والبرق .. والرياح ، وعلوم الكتابة ، وعلوم .. التشييد .. والبناء ، وعلوم عوائد المُلك وتدبير السياسة ، وعلوم النجارة والحدادة ، وعلوم الحياكة والنسيج والخياطة ، وعلوم الزراعة وآلاتها ، وعلوم هندسة البناء ، وعلوم الطب ، وعلوم المواقيت السنوية واليومية .

- اتِّخاذهم الأسواق وسيلة : للتعارف ، وللتجارة ، ولتبادل المعارف والمعلومات – وهي كثيرة – .

وقد جاء الإسلام فأقرَّ ذلك كلَّه .